

# أسباب الصلح

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في الإمام الحسن :

[إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به  
بين فئتين من المسلمين عظيمتين] .

إن الحسن كان رجل صدق ، قد كره الفرقة وآثر اجتماع الكلمة ،  
وخاض غمرات الفتنة على كره منه ، قاوم الفتنة ما وسعته مقاومتها أيام عثمان  
فلم يخض فيما خاض الناس فيه من حديثها ، ولم يشارك في المعارضة حين  
عظم الشر .

ولو استطاع الحسن لاعتزل الفتنة اعتزالا كما فعلت تلك المعتزلة مع  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من رأى الحسن ألا يرحل الإمام  
على رضى الله عنه إلى العراق للقاء طلحة والزبير والسيدة أم المؤمنين عائشة  
رضى الله عنها ، وكان يكره له أن يذهب إلى دار غربة ويتعرض للموت ولم  
يوافقه الإمام أبداً حتى بكى الحسن ذات يوم حين رأى ركاب أبيه تؤم العراق  
فقال له أبوه : « إنك لتحن حين الجارية » .

هذه مقدمة لا بد منها لأسباب الصلح ترينا طبيعة الإمام الحسن رضى الله  
عنه ، وبعد ذلك نستطيع أن نجمل الأسباب التي أدت إلى صلح الإمام

مع معاوية فيما يأتي :

أولاً : عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال في الإمام الحسن : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » .  
 إن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الحسن وهو صبي فأجلسه إلى جانبه على المنبر ، وجعل ينظر إليه مرة ، وينظر إلى الثامر مرة أخرى ، يفعل ذلك مراراً ثم قال : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » .

وقد وقع هذا الحديث من نفس الإمام الحسن أى موقع ، وقد ذكره حين ثارت الفتنة ، وقد اجتهد عندما حاول أن يشير على والده أمير المؤمنين في مواطن وظروف كثيرة أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده صلى الله عليه وسلم .

ومن وراء أفق الإمام الحزين رجع إلى الماضي ليرى صورة ممتعة<sup>(١)</sup> من طفولته المباركة وصباه الباكر الكريم فتطلع منها إلى أيامه البيض الحافلة بالنور في المدينة المنورة يوم كان يدرج فيها بموقعه الممتاز ومقامه المدلل المرمق بين أقرانه وأترابه ، ويوم كان يلعب ويمرح فيها ، ولكن بين سواعد أبويه العظيمين ، وعلى صدر جده الأعظم أو على ظهره المقدس أو على أعواد منبره الشريف ، ويوم كان يتلقف الوحي منذ لحظاته الأولى ، ويتعلم كلمات الله من لسان نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ويتخرج بعلمه على مصدر العلم ،

(١) صلح الإمام الحسن = الشيخ راضى آل ياسين .

ويضع النقاط على الحروف ليستقبل سيادته على الناس وإمامته المفروضة في أعناق المسلمين ، وإنه ليستمع إلى جده حين كان يراود الناس في كل مناسبة على الاعتراف له ، بلسان أشبه بمباهاة ، كلما ذكر ابنه الحسن للسيادة والإمامة ، وطالما ذكره لهما في حديثه أو ذكرهما له .

كانت عهداً مفعمة بروح العظمة ، وبعظمة الروح جدية بأن تهيب بالحسن فيتذكر منها أطيب الذكريات وأحفلها بالغبطة والقوة والمكرمات ، وكانت هذه الذكرى مفتاح ذكريات من حقها أن تؤنسه وأن تنسيه مزعجات لحظته الأخيرة ، ولعل أسطع فترة في حياة كل إنسان هي فترة طفولته البريئة بما يعمرها من الروابط المقدسة فيتذكر الحسن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعه على منكبه الأيمن ، ووضع أخاه الحسين على منكبه الأيسر فاستقبله أبو بكر فقال لهما : « نعم المركب ركبنا يا غلامان » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونعم الراكبان هما ، إن هذين الغلامين ريحانتاي من الدنيا » .

وذكر يوم جثا جده وأركبه على ظهره وأركب معه أخاه الحسين وقال لهما : نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنما ، وذكر مرة أخرى يوم جاء ووجده ساجداً فركب رقبتة وهو في صلاته ، ويوم جاء وجده راكع فأفرج له بين رجليه حتى خرج من الجانب الآخر<sup>(١)</sup> .

وذكر يوم قيل لجده : « يا رسول الله إنك تصنع بهذا - يعني الحسن -

شيئاً لم تصنعه بأحد» فقال : « إن هذا ريبحتي وإن ابني هذا سيد سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » ، وذكر يوم كان طفلاً بين يدي أمه فاطمة عليها السلام ودخل عليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه يلعب فقال لها : « إن الله تعالى سيصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وفي الموقف الرهيب الذي واجهه الإمام تمثل أمامه ذلك الحديث الذي انطبع بلا شك في أعماق نفسه ، وفي دخائل ذاته منذ نعومة أظفاره وإنه ليطمئن إلى قول جده كما يطمئن إلى محكم التزليل ، وها هو ذا جده العظيم يقول له ، وكأن صوته الشريف يرن بعدوبته المحببة في أذنه ويقول لأمه الطاهرة البنول ويقول على منبره ، ويقول بين أصحابه : « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » .

ويرجع الحسن إلى نفسه فيقول : ترى هل أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصلح اليوم أهل الشام ؟ وهل أهل الشام البغاة فئة مسلمة يصح أن يعنيتها هذا الحديث ؟ وهل هذه هي الفتنة التي أرادني رسول الله صلى الله عليه وسلم لإصلاحها ؟ أو قد فقدنا الكفاية لقمعها من طريق القوة ؟ كل ذلك كان يراود الحسن فيثير في نفسه تفاعلاً عنيفاً ينذر بانقلاب تاريخ وكل هذه الأسئلة كانت تنتظر الجواب من الحسن استعداداً للمصير الأخير .

وبعث هذه الذكريات بما فيها التوجيه النبوي الذي استشعر منه الحسن حماية جده له في أخرج ساعاته فكرة الإنقاذ للموقف فيما لو أتيج لهذه الأسئلة أجوبتها المطابقة لمقتضى الحال .

نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك يقيناً دون شك ، وإن هذه الفتنة هي الفتنة التي عنها فيما لوح إليه في أحاديثه الشريفة ، ولا فتنة أعظم من فتنة تشق المسلمين انشقاقهم هذا فتلهمهم عما يراد بهم من أعدائهم الواقفين لهم بالمرصاد ، وعما يراد منهم من إعمار وتنظيم وجهاد ، وأما الحكم على البغاة بحصانة الإسلام ، فهو ما يشير إليه موقف أمير المؤمنين عليه السلام منهم حين منع سبي نسائهم وذرائعهم وكفى بسيرة أمير المؤمنين أسوة صالحة وقدوة في الدين راجحة .

ويرى أستاذنا العميد الدكتور طه حسين أن الحسن كان يميل إلى السلم بتأثير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينبئه أن سيصلح بين فئتين كبيرتين من المسلمين وأن هذا الحديث قد وقع في نفس الصبي أي موقع وأنه قد ذكره حين ثارت الفتنة وكأنه حاول بمشورته على أبيه في مواظنه تلك أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده ، ويؤيد هذا الرأي الفريق الأكبر من المسلمين فيقول ابن تيمية : « دل الواقع على أن رأى ولده حسن من ترك القتال كان أجدى وأنفع للأمة ويستند إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين كبيرتين من المسلمين ) .

ثانياً : إنه في الوقت الذي ظل فيه جيش معاوية محتفظاً بالولاء لحكومته ولم يصب بالرجات التي أصيب بها جيش الإمام ، فقد مئى جيش الإمام بالانحلال والتفكك والتمرد فقد تضاربت الحزبية فيه كما أن الجنود قد

سثموا من الحروب ، ولا شك أنه مما زاد في ضعف جيش الإمام حرب  
الصفين والنهروان فقد طحنت الحرب فيها جمعاً غفيراً منهم حتى أصبحوا  
يكرهون الحرب ويؤثرون السلم ويحبون العافية ، وكذلك فإن الجيش العراقي  
لم يربح في حرب الجمل وصفين والنهروان شيئاً من العتاد والأموال ، ومن  
الأسباب التي أدت إلى تفلل الجيش العراقي فقدته للقوى الواعية من أعلام  
الإسلام الذين آمنوا بحق أهل البيت وعرفوا فضلهم وتضارب الحزبية فيه .  
ثالثاً : والعامل الثالث الذي دعا الإمام إلى المصالحة والمسائلة هو ما  
يتمتع به خصمه من القوى العسكرية وغيرها التي لا طاقة للإمام على مناجزتها .  
رابعاً : ومن العوامل التي دعت الإمام إلى الصلح ما روع به من اغتيال  
أبيه ، فقد ترك ذلك حزناً مقبهاً وأسى شديداً في نفسه لأنه قد قتل على غير مال  
احتجبه ولا سنة في الإسلام غيرها ولا حق اختص به دونهم ، وكان يحيا  
بينهم حياة الفقراء والضعفاء ويتطلب لهم حياة حافلة بالنعم والخيرات ويسعى  
جادا في إقامة العدل ، فعمدوا إلى اغتياله وتركوه صريحا في محرابه لم يحفظوا  
حرمته ولا حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وقد رأى الإمام الحسن  
عليه السلام بعد ارتكابهم لهذه الجريمة النكراء أنه لا يمكن إصلاحهم  
وإرجاعهم إلى طريق الحق والصواب فزهد في ولايتهم وقد قال : « وقد  
زهدني فيكم اغتيالكم أبي » .

خامساً : ومن دواعي الصلح رغبة الإمام الملحة في حقن دماء المسلمين  
وعدم إراقتها ولو فتح باب الحرب مع معاوية لضحى بشيعته وأهل بيته ويبحث

بذلك الإسلام من أصله ، وقد صرح عليه السلام بذلك في جوابه عن دوافع صلحه فقال : « إني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض ، فأردت أن يكون للدين ناعى » ، فقد شهد الحسن مع أبيه مشاهد في البصرة وصفين والنهروان ، ويقول أستاذنا العميد الدكتور طه حسين إنه يعتقد أن الإمام الحسن وأخاه أبا الشهداء قد شهدا هذه الحروب دون أن يشاركا فيها ، بل إن أباهما كان يضمن بهما على الخطر مخافة أن يصيبهما شر فتقطع ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يقيهما بنفسه وبأخيهما محمد بن الحنفية ، وكان يشتد على محمد هذا ويعنف به إن رأى منه في الحرب أناة أو تقصيراً حتى كلمه في ذلك بعض أصحابه . فقد كان الإمام عليُّ إذا أشد الناس إثارةً للحسن والحسين لمكانهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أصحابه يصنعون صنيعه في ذلك فيؤثرونهما بالخير والبر ، ويروى أن رجلاً أهدى إلى الحسن والحسين وترك محمداً فلم يُهد إليه شيئاً فلما رأى عليُّ ذلك من الرجل وضع يده على كتف الرجل وتمثل :

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

فذهب الرجل فأهدى إلى محمد كما أهدى إلى أخويه .

ومن هذا نرى أن الحسن كان كارهاً للفتنة منذ ثارت .

وأجاب عليه السلام بعض الناقمين عليه من شيعته في الصلح فقال :

« ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل » ، وأعرب في

خطابه الذي ألقاه في المدائن عن مدى اهتمامه بدماء المسلمين فقد جاء فيه :

« أيها الناس إن الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق أتركه لإصلاح أمر الأمة وحقق دمائها » .

ومن حيظته ورعايته لذلك أنه أوصى أخاه الحسين حيناً وافاه الأجل المحتوم أن لا يهرق في أمره ملء محجمة دماً ، إن أحب شيء للإمام عليه السلام الحفاظ على دماء المسلمين ونشر الأمن والوئام فيما بينهم ، وقد بذل في سبيل ذلك جميع جهوده ومساغبه .

سادساً : لقد علم الإمام الحسن أنه إن حارب معاوية فإن العراقيين قد يسلمونه أسيراً إلى معاوية ، وأغلب الظن أنه لا يقتله بل يخلى عنه ويسجل له بذلك مكرمة وفضيلة ، ويسدى يداً بيضاء على عموم الهاشميين ويغسل عنه العار الذي لحقه من أنه طليق وابن طليق ، وقد صرح الإمام الحسن بهذه الخاطرة فقال : « والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنق حتى يدفعوني إليه سليماً . والله لئن أسأله وأنا عزيز أحب إلى من أن يقتلني وأنا أسير أو يمن علي فتكون سبة على بني هاشم إلى آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمن بها هو وعقبه على الحي منا والميت » .

سابعاً : انضمام المحنكين والسياسيين إلى معاوية طمعاً في ماله ودنياه وهم كالمغيرة بن شعبة الذي قيل في حيلته ودهائه : « لو كان المغيرة في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج منها إلا بالمكر والخداع لخرج المغيرة من أبوابها كلها » . وكان من حاشيته عمرو بن العاص وكان في طليعة من رفع علم الثورة على عثمان لأنه عزله من منصبه ، وهو الذي خدع الجيش العراقي

يرفع المصاحف فتركه ممزق الأوصال ، لقد جذب معاوية هؤلاء الدهاة ، ووقف الإمام الحسن معهم في صلحه أحزم موقف يتخذه المفكرون فقد حفظ ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقق دماء المؤمنين .

ثامناً : ومن جملة الأسباب التي دعت الإمام إلى الصلح الحوادث التي لاقاها في المدائن وهي :

( أ ) خيانة الزعماء والوجوه واتصالهم بمعاوية .

( ب ) الحكم عليه بالتكفير من قبل الخوارج .

( ج ) اغتياله - نهب أمتعته .

تاسعاً : قد يكون من المفيد أن أسجل ما لاقاه أنصار الإمام الحسن وأن أعرض نماذج من الذين أودوا بسبب موقفهم من الإمام :

#### ١ - محمد بن أبي حذيفة :

بعد في طليعة رجال الإسلام الساهرين على مصلحته والأمين بالمعروف والناهين عن المنكر وقد قال أمير المؤمنين ( ع ) في حقه : « إن المحامدة تأتي أن يعصى الله » ثم عدده منهم ، وكان ملازماً لأمير المؤمنين وفي خدمته ، ولما قتل ( ع ) وانتهى الأمر إلى معاوية أراد قتله ثم بدا له أن يتسجنه فسجنه أمداً غير قصير . والتفت يوماً إلى أصحابه فقال لهم : « ألا نرسل إلى هذا السفیه محمد بن أبي حذيفة فنبكته ونخبره بضلاله ، ونأمره أن يقوم فيسب علياً » فقالوا نعم ، ثم أمر بإحضاره فلما مثل عنده التفت إليه :

« يا محمد ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك على ابن أبي طالب (ع) ؟ ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً وأن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه وأن علياً هو الذى رس الناس فى قتله ونحن اليوم نطلب بدمه ؟ » .

فأجابه محمد : « إنك تعلم أنى أمس القوم بك رحماً وأعرفهم بك » .  
- أجل .

« فوالله الذى لا إله غيره ما أعلم أحداً شرك فى دم عثمان وألب الناس عليه غيرك لما استعملك ، ومن كان مثلك فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى ففعلوا به ما بلغك ، والله ما أحد شرك فى قتله بدءاً وأخيراً إلا طلحة والزبير وعائشة ، فهم الذين شهدوا عليه بالعظمة وألبوا عليه الناس ، وشركهم فى ذلك عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعمار والأنصار جميعاً » .

فارتاع معاوية وقال منكرأ عليه :

« قد كان ذلك ؟ ! ! »

- أى والله ، وإنى لأشهد أنك منذ عرفتك فى الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد ، ما زاد الإسلام فىك لا قليلا ولا كثيراً وإن علامة ذلك فىك لبتيمة تلومنى على حبي علياً ، خرج مع على كل صوام قوام مهاجرى وأنصارى ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنيائك . والله يا معاوية ما خفى عليك ما صنعت وما خفى عليهم ما صنعوا

إذا أحلوا أنفسهم بسخط الله في طاعتك ، والله لا أزال أحب علياً لله  
ولرسوله وأبغضك في الله ورسوله أبداً ما بقيت ! ! » .

- « وإني أراك على ضلالك بعد ردهه إلى السجن » .

فردوه له فكث مدة من الزمن حتى مات فيه .

لقد لاقى محمد حتفه وهو مروع في ظلمات السجن لأنه لم يرتض  
أعمال معاوية ولم يقره على منكراته وأباطيله ، وهكذا كان مصير الأحرار  
والنبلاء المعارضين لحكومة معاوية يلاقون التعذيب والتنكيل والتخليد في  
السجون .

٢ - عبد الله بن هاشم المرقال :

ومن الذين أراهم معاوية وأدخل الفرع في نفوسهم الزعيم المثالي عبد الله  
ابن هاشم المرقال فقد كان معاوية يحمل في نفسه كمداً وحقداً عليه ،  
وذلك لولائه وإخلاصه لأمر المؤمنين ( ع ) ولوقوف أبيه هاشم في يوم صفين ،  
ذلك الموقف الخالد الذي أخافه وأزعجه حتى صمم على الهزيمة والفرار  
وللتشني والانتقام منه ، فقد كتب إلى عامله زياد رسالة يطلب فيها القبض  
على نجمل هاشم عبد الله كي ينكل به وهذا نص ما كتبه :

« أما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده إلى عنقه ثم ابعث  
به إلى » .

ولما وصلت رسالة معاوية إلى زياد قام في طلبه ولما علم بذلك عبد الله هرب

منه واخنتي ، وعلم به بعض الأوغاد فجاء إلى معاوية ليتقرب إليه فأخبره أنه قد اختنى عند امرأة مخزومية في الوقت دعا معاوية كاتبه فكتب إلى زياد رسالة وها هي ذى :

« أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حى بنى مخزوم ففتشه داراً داراً حتى تأتى إلى دار فلانة المخزومية فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها ، فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقبده وغل يده إلى عنقه واحمله على قتب بغير وطاء ولا غطاء وأقدمه إلى » .

فامتثل زياد أمر معاوية ففتش حى بنى مخزوم حتى ظفر بعبد الله فحمله إليه بالكيفية التي أرادها وهو مهان الجانب محطم الكيان ، فوصل إلى دمشق يوم الجمعة وهو يوم القبول الذي أعده معاوية لمقابلة أشرف قريش ووجوه العراقيين فلم يشعر معاوية إلا وابن هاشم قد أدخل عليه ، فصرفه ولم يعرفه مستشاره ابن العاص فالتفت معاوية إليه قائلاً :

« يا أبا عبد الله ، هل تعرف هذا الفتى ؟ » قال لا .

هذا الذى يقول أبوه يوم صفين :

إني شربت النفس لما اعتلا      وأكثر اللوم وما أقل  
أعدد بيني أهله محلاً      قد عالج الحياة حتى ملا  
لا بد أن يفل أو يفلا      أسلهم بنى الكعوب سلا

لا خير عندي في كريم ولى

وظهرت الدهشة على ابن العاص والتفت إلى معاوية وقال :

« دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب فاشخب أوداجه على أثباجه ولا ترده إلى أهل العراق ، فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وحزب إبليس ليوم هيجانه وإن له هوى سيوديه ورأياً سيطقيه : وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

فانبرى إليه عبد الله كالأسد الغضبان مسدداً إليه سهاماً من القول غير هيب له قائلاً :

« يا عمرو ، إن أقتل فرجل أسلمه قومه ، وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك إلى النزال ، وأنت تلوذ بشمال النطاف<sup>(١)</sup> وعقائق الرصاف<sup>(٢)</sup> كالأمة السوداء ، والتعجة القوداء لا تدفع يد لأمس ؟ »  
 فاغتاظ ابن العاص ولم يستطع أن يقول شيئاً سوى التهديد والتوعيد وإعلان الظفر والغلبة عليه قائلاً : « أما والله لقد وقعت في لهازم<sup>(٣)</sup> شدقم للأقران ذى لبد ولا أحسبك منافئاً من مخالف أمير المؤمنين » .

فأجابه ابن هاشم غير معتن بهديده وتوعيده :

« أما والله يا ابن العاص إنك لبطر في الرفاء جبان عند اللقاء غشوم إذا وليت هيب إذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشوك لا يستعمل في المدة ولا يرتجى في الشدة ، أفلا كان هذا منك إذ عمرك أقوام

(١) النطاف : الماء القليل .

(٢) العقائق : سهام الاعتذار ، والرصاف : الحجارة التي توضع عند مسيل الماء .

(٣) اللهازم = جمع مفردة لهزم وهي الأنياب - والشدقم الأسد .

لم يعنفوا صغاراً ، ولم يمزقوا كباراً لهم أيد شداد ، وألسنة حداد يدعمون العوج ، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الفليل ، ويعززون الدليل ؟ »

فلم يطق ابن العاص جواباً وتبقى يفتش في حقيبة مكره عيباً أو سوءاً بوصم به عبد الله فلم يجد شيئاً سوى افتعال الكذب فقال :  
« أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تحقق أحشاؤه وتبقى أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه<sup>(١)</sup> كأنما انطبق عليه ضمد » .

فانبرى إليه عبد الله مجيباً عن بهتانه وكذبه قائلاً له :  
« يا عمرو إنا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذباً غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجدنا لا يسامونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لبحظ عليك عقلك<sup>(٢)</sup> . وتلدج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله » .

والتفت إليهما معاوية قاطعاً حديثهما قائلاً : « أيهاً عنكما » ثم أمر بإطلاق سراح عبد الله ، فاستاء ابن العاص لهذا العفو ، وانبرى إلى معاوية محرصاً له على الفتك والبطش به ومذكراً له موقف أبيه هاشم في صفين .

(١) الأصلاء : أواسط الظهر .

(٢) جحظ عقله : أى نظر إلى رأيه فرأى سوء ما ارتأى .

٣ - عبد الله بن خليفة الطائي :

وعبد الله بن خليفة الطائي ممن عرف بالولاء والإخلاص لأهل البيت وللإمام علي فقد جاء إليه حينما توجه (ع) إلى البصرة فقال له :

« الحمد لله الذي رد الحق إلى أهله ، ووضع في موضعه ، فإن كره ذلك قوم فقد والله كرهوا محمداً صلى الله عليه وسلم وناذروه وقاتلوه ، فرد الله كيدهم في نحورهم وجعل دائرة السوء عليهم ، والله لأجاهدن معك في كل موطنٍ تحفظاً لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

وقد دل حديثه على إيمانه وعقيدته وطيب عنصره وحسن رأيه ، وكان من المقربين عند الإمام ومن الذين يستشيرهم في مهام أموره .

وكان عبد الله في طليعة أصحاب حجر ومن المعارضين للسياسة الأموية ومن المشتركين معه في ثورته ، ولما قبض زياد على حجر وأصحابه أمر شرطته (وهم أهل الحمراء) أن يأتوه بعبد الله ففتشوا عنه فوجدوه فناجزهم عبد الله وأخيراً استولوا عليه فنادت أخته النوار بقومها وأسرتها محرضة لهم على نجدة أخيها ونصرته قائلة :

« يا معشر طيئٍ أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة ؟ »

فثار الطائيون على الشرطة فضربوهم وناجزوهم حتى انتزعوا منهم عبد الله فرجعت الشرطة إلى زياد وأخبرته بالأمر فاستدعى زعيم طيئٍ وعميدهم عدى بن حاتم فقال له :

« إثنين بعبد الله بن خليفة ؟ »

وبعد حديث جرى بينهما قال ابن حاتم له مقالا يلمس فيه شرفه ونبله  
وسمو نفسه :

« لا والله لا آتيك به أبداً ، أجيئك بابن عمي تقتله ؟ والله لو كان تحت  
قدمي ما رفعتهما عنه . »

فالتاع زياد وأمر به إلى السجن ، ولم يبق بالكوفة يماني ولا ربيعي إلا أتوا  
زياداً فكلّموه في شأن عدى وأخبروه بعظم شأنه وشرفه فاضطر زياد إلى  
إطلاق سراحه بشرط أن يغيب ابن عمه عن الكوفة فوافق عدى على ذلك  
وأمر عبد الله أن يغادر الكوفة ويلحق با ( لجليلين ) فغادر عبد الله الكوفة  
وقد سرى الألم العاصف في محياه على بعده عن وطنه وعلى فراقه لأصحابه  
وأهله وقد أرسل إلى عدى بعد نفيه قصيدة عصماء يرثى بها حجراً وأصحابه  
ويذكر فيها ما يعانیه من الألم والحزن على بعده عن وطنه فيقول في رثاء حجر :  
ولا تقي بها<sup>(١)</sup> حجر من الله رحمة  
ولا زال تهطال ملث وديممة  
فيا حجر من للخيل تدمي نحورها  
ومن صادع بالحق بعدك ناطق  
فنعم أخو الإسلام كنت وإنتي

فقد كان أرض الله حجر وأعدرا  
على قبر حجر أو ينادى فيحشرا  
وللملك المقرئ إذا ما تغشرا<sup>(٢)</sup>  
بتقوى ومن إن قيل بالبحر غيرا  
لأطمع أن تؤقّي الخلود وتحبرا

( ١ ) الضمير يرجع إلى مرجع عذراء .

( ٢ ) تغشرا : أي أخذ قهراً وظلماً .

وقد كنت تعطى السيف في الحرب حقه وتعرف معروفاً وتنكر منكراً  
ثم يسترسل في رثاء حجر فيذكر صفاته الرفيعة ومواهبه وملكاته وبيكيه  
أمر البكاء وينتهي في قصيدته إلى وصف محنته وإلى ما يلاقيه من الألم  
والأسى في غربته فيقول :

فها أنا ذا آوى بأجبال طيئ      طريداً فلو شاء الإله لغيرا  
تعاف عدوى ظالماً عن مهاجري      رضيت بما شاء الإله وقدرنا  
وأسلمني قومي بغير جناية      كأن لم يكونوا لي قبيلاً ومعثرا

وذكر الطبري وابن الأثير بقية القصيدة وقد أعرب فيها عن لوعته وحزنه  
على فراقه لأهله ووطنه ، وقد ظل منفيًا حتى مات بالجليلين قبل موت زياد<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - صعصعة بن صوحان :

وصعصعة بن صوحان من سادات العرب وفصحائهم النابهن وخطبائهم  
المفوهين كان من ذوى الفضيلة والدين وقد أسلم على عهد رسول الله (ص)  
وهو صغير ولم يجتمع به لصغر سنه ووفد على الخليفة الثاني وكان يقسم  
أموال الغنائم وكان مقدارها ألف ألف درهم نقضها على المسلمين وبقيت منها  
فضلة فاختلفت الصحابة في تلك الفضلة أين يضعونها فقام فيهم عمر خطيباً  
فقال في خطابه :

« أيها الناس ، قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس ، فاتقولون فيها » .

(١) الطبري (ج ٦ ص ١٥٧) الكامل (ج ٣ ص ٢٤١) .

فانبرى إليه صعصعة منكرأ عليه تحيره في هذه المسألة البسيطة قائلاً :  
 « يا أمير المؤمنين ، إنما تشاور الناس فيما لم ينزل الله فيه قرآناً ، وأما ما أنزل  
 الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى » .  
 فاستحسن عمر رأيه وقال له : « صدقت أنت مني وأنا منك » ثم قسم  
 المال بين المسلمين<sup>(١)</sup> .

وكان صعصعة في طليعة أصحاب أمير المؤمنين ( ع ) ومن الملازمين له  
 وقال الإمام الصادق عليه السلام في حقه : « ما كان مع أمير المؤمنين من  
 يعرف حقه إلا صعصعة وأصحابه »<sup>(٢)</sup> ومرض صعصعة فعاده ( ع ) فقال  
 له : « يا صعصعة ، لا تتخذ عيادتي لك أبهة على قومك ! ! » .

- بلى والله أعدها منة من الله وفضلاً على .  
 - إنك إن كنت على ما علمت فأنت خفيف المونة حسن المعونة .  
 - وأنت والله يا أمير المؤمنين بالله علمياً وبالؤمنين رءوفاً رحيماً<sup>(٣)</sup> .  
 ولحصافة رأيه وسداد منطقته كان الإمام ( ع ) يرسله في مهامه فقد أرسله  
 مرة إلى معاوية ومعه كتاب منه فلما انتهى إليه قال معاوية مشيداً بنفسه  
 ومبرراً لأعماله :

« الأرض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لى وما تركت منه  
 كان جائراً لى » .

( ١ ) الاستيعاب ( ج ٢ ص ١٨٩ ) .

( ٢ ) التعليقات ص ١٨٣

( ٣ ) نفس المصدر .

ونقل على صعصعة هذا الكلام الملتوى الفارغ من الحق فانبرى إليه

مجيئاً:-

تمنيك نفسك مالا يكون جهلاً معاوي لا تأثم

فتأثم معاوية وقال مندداً به :

« تعلمت الكلام ؟ »

- العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل .
- ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك .
- ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها .

- من يحول بيني وبينك ؟

- الذي يحول بين المرء وقلبه .

- اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير .

- اتسع بطن من لا يشبع ، ودعا عليه من لا يجمع<sup>(١)</sup> .

ودل هذا الحديث على قوة جنان صعصعة وأنه ليس بالمرعديد الهباب فلقد رد على معاوية مقالته بالمثل وقابله بالاستخفاف والاستهانة وهو غير هباب له ولا خائف من سلطته وسلطانة .

ولما انتقل الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى حظيرة القدس وانحسم ظهر الإسلام باستيلاء ابن هند على زمام الحكم لاقى صعصعة من العناء أشده ومن الألم أمره ، فقد أودعه معاوية مع جماعة من أصحابه في ظلمات

(١) مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٤٢)

السجون ، ودخل عليهم وهم في سجنه فقال لهم :

« نشدتكم بالله إلا ما قلتُم حقاً وصدقاً ، أى الخلفاء رأيتُمونى ؟ »

فانبرى إليه عبد الله بن الكواء قائلاً :

« لولا أنك عزمت علينا ما قلنا ، لأنك جبار عنيد ، لا تراقب الله فى

قتل الأخيار ولكننا نقول : قد علمنا أنك واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب  
الثرى ، بعيد المرعى ، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات ! ! » .

فقال معاوية له : « إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابين عن

بيضته ، التاركين لمحارمه ، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله ،  
والخيلين ما حرم الله ، والمحرمين ما أحل الله » .

فأجابه ابن الكواء : « يا ابن أبى سفيان ، إن لكل كلام جواباً ونحن

نخاف جبروتك ، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذبينا عن أهل العراق بألسنة  
جداد لا يأخذها فى الله لومة لائم ، وإلا فإننا صابرون حتى يحكم الله  
ويضعنا على فرجه » .

فقال له معاوية : « لا والله لا يطلق لك لسان » .

وكان صعصعة من جملة الأشخاص الذين طلب لهم الإمام الحسن (ع)

من معاوية الأمن وعدم التعرض لهم بسوء ومكروه ولكن معاوية لم يف بذلك  
فقد أراعه وأخافه وأودعه فى سجنه كما أراع غيره من الموالين لأهل البيت ،  
وصرحت بعض المصادر أن المغيرة بنى صعصعة بأمر معاوية من الكوفة إلى  
الجزيرة أو إلى البحرين أو إلى جزيرة ابن كافان فمات بها معتقلاً منفياً عن

وطنه وبلادده وفي رثائه يقول المرزبانى (١) :

هلا سألت بنى الجارود أى قتي      عند الشفاعة والبان ابن صوحانا  
كنا وكانوا كأم أرضعت ولدأ      عقأ ولم نجز بالإحسان إحسانا (٢)

٥ - عدى بن حاتم :

من أهم الشخصيات الرفيعة الفذة فى العراق فقد كان يتمتع بمجد وشرف ونبل فهو ابن حاتم مضرب المثل فى جوده وسخائه ، وبالإضافة إلى مجده الموروث فقد كان من أبطال العقيدة ومن عيون المؤمنين ومن رجال الإسلام البارزين ، وقد تعرض لكثير من الهوان والعسف من أجل ولاءه وإخلاصه لأمر المؤمنين (ع) فقد دخل يوماً على معاوية فقال له متشتماً به :

« ما فعلت الطرفات ؟ » (٣) .

- قتلوا مع على .

- ما أنصفك على قتل أولادك وأبقى أولاده ! ! .

- ما أنصفك على إذ قتل وبقيت بعده .

(١) المرزبانى : بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاى وفتح الباء الموحدة وهو جد من انتسب إليه من الأعيان جاء ذلك فى اللباب (ج ٣ ص ١٢٤) وجاء فى وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٤٣) أن لفظ المرزبان لفظ فارسى معناه صاحب الحمد ، فإن مرز معناه الحمد وبان معناه صاحب ، وهو فى الأصل عندهم اسم لمن كان دون الملك .

(٢) الإصابة (ج ٢ ص ١٩٢) .

(٣) الطرفات : هم أولاد عدى وهم طريف وطارف وطرفة .

فتألم معاوية من مقال عدى وقال مهدداً له :

« أما إنه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يحوها إلا دم شريف من أشرف  
المن - يعنى به عدياً » .

فانبرى إليه عدى وهو غير مكترث بتهديده وتوعيده قائلاً له :  
« والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لنى صدرونا ، وإن أسيافنا التي قاتلناك  
بها لعلى عواتقنا ، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً لندنين إليك من الشر  
شبراً ، وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم<sup>(١)</sup> لأهون علينا من أن نسمع  
المساءة فى على ، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف » .

فراوغ معاوية على عادته وقال :

« هذه كلمات حكم فاكتبوها » .

ثم أقبل عليه يحدثه كأنه لم يخاطبه بشئ<sup>(٢)</sup> ثم قال له :  
« صف لى علياً » .

- إن رأيت أن تعفينى .

- لا أعفيك .

فأخذ عدى فى وصف أمير المؤمنين فقال :

« كان والله بعيد المدى ، شديد القوى يقول عدلاً ، ويحكم فصلاً ،  
تتفجر الحكمة من جوانبه ، والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ،

(١) الحيزوم : وسط الظهر .

(٢) مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٠٩) .

ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله عزيز الدمعة ، طويل الفكرة ، يحاسب نفسه إذا خلا ، ويقلب كفيه على ما مضى يعجبه من اللباس القصير ، ومن المعاش الخشن . وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، ويدنينا إذا أتينا . ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته . فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويتعجب إلى المساكين لا يخاف القوى ظلمه ، ولا يبأس الضعيف من عدله فأقسم لقد رأيت ليلة وقد مثل في محرابه وأرخصي الليل سرباله ، وغارت نجومه ، ودموعه تتحاور على لحيته ، وهو يتململ يتململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأنى الآن أسمعوه وهو يقول :

« يا دنيا ألى تعرضت أم إلى أقبلت ؟ غررى غيرى لاحان حينك ، قد طلفتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك ، فعيشك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر وقلة الأنيس » .

فركفت عيننا معاوية ، وجعل ينشفهما بكمه ثم قال :

« يرحم الله أبا الحسن كان كذلك . فكيف صبرك عنه ؟ »

— كصبر من ذبح ولدها في حجرها فهي لا ترقأ دمعها ، ولا تسكن عبرتها .

— فكيف ذكرك له ؟

— وهل يترك الدهر أن أنساه ؟ .

وقد دل هذا الحديث على ولاء عدى لأمير المؤمنين ومن أجل ولائه

وإخلاصه فقد روع وأفزع وقد تقدم أن زياداً أودعه في السجن حقبة من

الأيام من أجل عبد الله بن خليفة الطائى ولم يراع شخصيته الكريمة ومكانته الاجتماعية وعظم منزلته وإنما فعل ذلك به ليقضى على أنصار أمير المؤمنين عليه السلام .

### سياسة أهل البيت :

لكى يكون لدينا إيضاح كاف عن صلح الإمام الحسن رضى الله عنه فلا بد أن نعرض بعض الجوانب من سياسة أهل البيت لنتبين مدى أصالة سياستهم البناءة ، ثم نقف على الأهداف الرفيعة التى ينشدون تحقيقها فى ظلال الحكم .

إن السياسة التى يجب أن تسود البلاد عند أهل البيت هى السياسة البناءة التى تضمن مصالح المجتمع وتحقيق المساواة والعدالة والفرص المتكافئة بين أبنائه .

إن سياسة أهل البيت قد تبنّت العدل الخالص وهى سياسة لا تعتمد على المكر والمواربة .

أما الأهداف السليمة والمثل العليا التى رفع شعارها أهل البيت وتبنوها فهى :

أولاً : العدل والمساواة لأن الإسلام أسخ نعمه المساواة على الإنسانية بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ المجتمع العالمى ، فقد أعلن المساواة العادلة ما بين الأفراد والجماعات وما بين الأجناس فلا فضل لأبيض على أسود

ولا لعربي على أعجمي ، فالناس سواسية كأستان المشط ، لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وقد قيل إن من أهم الأسباب في تحاذل العرب عن علي بن أبي طالب كان اتباعه لمبدأ المساواة بين الناس حيث كان لا يفضل شريفاً على مشروف ولا عربياً على عجمي ولا يصانع الرؤساء والقبائل .

ثانياً : الحرية والصراحة والصدق ، وهم يمثلون بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق - فإن الصدق يهدي إلى البر - وإن البر يهدي إلى الجنة - وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (١)

إن أهل البيت قد ركزوا سياستهم على الصدق والصراحة وجنبوها المكر والخداع .

يقول الإمام علي : « لولا أن المكر والخداع في النار لكنت أمكر الناس » .  
ويقول في الغدر : « لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة » .

إن سياسة أئمة أهل البيت في جميع الشؤون قد عبرت عن جميع القيم الإنسانية الخيرة التي أعلنها الإسلام ، فهي لا تقر الغدر ولا المكر ولا الخداع

(١) رواه مسلم .

ولا تؤمن بأى وسيلة من وسائل النفاق الاجتماعى وإن توقف عليها النجاح السياسى المؤقت .

وسار الإمام الحسن على مخططات أبيه ومقرراته فى عالم السياسة والحكم فلم يعتمد على أى وسيلة لا يقرها الدين .

وكذلك يرى أهل البيت أن الموظفين فى جهاز الحكم لا بد أن يكونوا من خيرة الرجال فى الجدارة والتزاهة والكفاءة والقدرة على إدارة شئون البلاد ، ليضعوا المصلحة العامة نصب أعينهم ويسيروا بين الناس سيرة قوامها العدل الخالص والحق المحض ، ويكونوا أمناء فيما يجبوونه من الناس وما ينفقونه على المرافق العامة وقد نظر أهل البيت إلى ما هو أبعد من ذلك وأعمق بكثير فقد فرضوا على ولائهم أن يتعدوا عن الناس بكل نحو من أنحاء الصلة لما عسى أن يكون لذلك من أثر على مجرى العدل ، ولذلك فإن أمير المؤمنين رضى الله عنه لما بلغه أن عامله بالبصرة سهل بن حنيف قد دُعى إلى مأدبة فأجاب إليها فكتب إليه يستنكر منه ذلك وقال : « أما بعد : يا بن حنيف فقد بلغنى أن رجلا من فنية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو<sup>(١)</sup> وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم<sup>(٢)</sup> فما اشتبه

(١) مجفو : أى مطرود من البؤس والجفاء .

(٢) المقضم : المأكول .

عليك علمه فألقه وما أيقنت بطيب وجوهه<sup>(١)</sup> فنل منه .

وأراد الأشعث بن قيس أن يتقرب إلى أمير المؤمنين ويتصل به فصنع له حلوى جيدة فقدمها إليه وقد وصف عليه السلام موقفه تجاه هذا الأمر فقال :

« وأعجب من ذلك طارق طرفنا بملفوفة في وعائها ومعجونة . . .

فقلت : أصله أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت .

فقال : لا إذا ولا ذاك ولكنها هدية .

فقلت : هبلتك<sup>(٢)</sup> الهبول ، أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟

أمختبط أم ذو جنة أم تهجر<sup>(٣)</sup> .

والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في عملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقتضمها ، ما لعلى ولنعم يقنى ولذة لا تبقى ، نعوذ بالله من سبات العقل<sup>(٤)</sup> وقبح الزلل وبه نستعين .

هذه بعض المثل العليا التي ينشدها أهل البيت في ظلال الحكم ولو أن الإمام الحسن انحرف عنها ونهج في سياسته منهج من يعمل للدنيا وسلك مسلك من يقنى الملك والسلطان فراوغ وداهن وأنفق المال في غير محله لما آل الأمر لمعاوية .

(١) بطيب وجوهه : أى بالحل في طرق كسبه .

(٢) هبلتك بكسر الباء : نكلتك - الهبول : المرأة التي لا يعيش لها ولد .

(٣) تهجر : تهذى بما لا معنى له .

(٤) نومه .

## كيف تم الصلح :

يرى فريق من المؤرخين ومنهم الطبرى وابن الأثير أن معاوية أرسل إلى الحسن صحيفة بيضاء مختوماً على أسفلها بخطمه وكتب إليه « أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك » ، واختالف المؤرخون اختلافاً كثيراً فيمن بادر لطلب الصلح وسنوق هذه النقطة حقها بعد قليل .

وروى ابن عبد البر : « أن الإمام كتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه على أن يشترط عليه ألا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء كان في أيام أبيه ، فأجابه معاوية وكاد يطير فرحاً إلا أنه قال : أما عشرة أنفس فلا أؤمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه يقول : إني قد آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده ، فراجعه الحسن إني لا أباعك أبداً وأنت تطلب قيساً أو غيره بتبعة ، قلت أو كثرت . فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال : اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر بعده فالتزم ذلك كله معاوية . »

والبعض يذكر أن الإمام أرسل سفيرين إلى معاوية هما عمرو بن سلمة الهمداني ومحمد بن الأشعث الكندي ليستوثقا من معاوية ويعلما ما عنده . وذكر جماعة من المؤرخين أن الإمام ومعاوية اصطلحا وارتضيا بما احتوته الوثيقة الآتية وهي « هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب

ومعاوية بن أبي سفيان ، صالحة على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين ، وليس لمعاوية ابن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء وبما أعطى الله على نفسه ، وعلى ألا يبغى للحسن بن علي ، ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سراً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق شهد عليه فلان ابن فلان بذلك ، وكفى بالله شهيداً « (١) » .

ويشك كثير من المؤرخين في أن ما احتوت عليه هذه الوثيقة هو مجموع ما طلبه الإمام وإنما هي جزء من كل .

وأهم شروط الصلح التي ذكرتها بعض المصادر :

- ١ - تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الصالحين (٢) .
- ٢ - ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده والأمر بعده للحسن فإن حدث به حدث فالأمر للحسين (٣) .

(١) كشف الغمة : الصواعق .

(٢) ابن أبي الحديد .

(٣) الإصابة : الإمامة والسياسة ، بنايع المودة .

٣ - الأمن العام لعموم الناس الأسود والأحمر منهم سواء فيه وأن يحتمل عنهم معاوية ما يكون من هفواتهم ، وألا يتبع أحداً بما مضى وألا يأخذ أهل العراق بإحنة .

٤ - ألا يسميه أمير المؤمنين .

٥ - أن يترك سب أمير المؤمنين على وألا يذكره إلا بخير .

٦ - ألا يقيم عنده الشهادة .

٧ - أن يوصل إلى كل ذى حق حقه .

٨ - الأمن لشيعة أمير المؤمنين وعدم التعرض لهم بمكروه .

٩ - يفرق في أولاد من قتل مع أبيه في يوم الجمل وصفين ألف ألف

درهم ويجعل ذلك من خراج دار يجرده .

١٠ - أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ويقضى عنه ديونه ويدفع إليه في

كل عام مائة ألف .

١١ - ألا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأهل البيت عائلة

سراً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق .

مكان الصلح وزمانه :

تم الصلح في « مسكن » حسب ما ذكرته أوثق المصادر ، ويذهب بعض

رجال التاريخ إلى أن الصلح وقع في بيت المقدس ، وذهب البعض الآخر

إلى أنه وقع بأذرب من أرض الشام .

وكما اختلف المؤرخون في المكان الذي وقع فيه الصلح فقد اختلفوا في الزمان أيضاً فقد قيل إنه كان سنة ٤١ هجرية في ربيع الأول وقيل في ربيع الآخر ، واصطلح بعض المؤرخين على تسمية عام الصلح بعام الجماعة ولكن الجاحظ يقول : « فعندها استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه (عام الجماعة) ، وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة منصباً قيصرياً » .

على أنه كان من الطبيعي أن يتفق الفريقان بعد توقيعهما الصلح على مكان يلتقيان فيه فاختارا الكوفة ، ونودي في الناس إلى المسجد الجامع ليستمعوا هناك إلى الخطيبين الموقمين على معاهدة الصلح ، وكان لا بد لمعاوية أن يستبق إلى المنبر فسبق إليه وجلس عليه وجاء في خطابه كما رواه المدائني ، « يا أهل الكوفة أترؤني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألئى رقابكم ، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون ، ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين ، ولا يصلح الناس إلا ثلاث ، إخراج العطاء عند محله ، وإفقال الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره فإن لم تغزوهم غزوكم » .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن حبيب بن أبي ثابت مسنداً أنه ذكر في هذه الخطبة علماً فقال منه ثم نال من الحسن .

ثم طلب معاوية من الإمام الحسن أن يعتلى منصة الخطابة ليبين للناس تنازله عن الأمر ، فابرى الإمام إلى أعواد المنبر والناس كلهم أذن صاغية وهم ما بين راغب وراغم ، فخطبهم خطبة طويلة كانت في منتهى الروعة والبلاغة ، وعظ فيها الناس ودعاهم إلى الألفة والمحبة وصور فيها الأحداث الرهيبة التي جرت على أهل البيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعزا ما جرى عليهم من المحن والخطوب إلى الصدر الأول الذين تزعموا الخلافة منهم وقد جاء في خطابه : « أما بعد فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة ، ألا وإن ما تكروهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تحالفوا أمري ولا تردوا علي رأياً ، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا . وقال : قد علمتم أن الله هداكم بجدي محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنقذكم به من الضلالة ، ورفعكم به من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة ، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته ، وقد رأيت أن أحقن الدماء خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم وإن أدري لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين » .

وأخذ الإمام الحسن بين ظلامه أهل البيت فقال :

« إن معاوية زعم لكم أنى رأيته للخلافة أهلا ولم أر نضى لها أهلا ، نحن أولى الناس بالناس فى كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه ، ولم نزل - أهل البيت - مظلومين منذ قبض الله نبيه فالله بيننا وبين من ظلمنا » . ثم قال : « فولدنى بعث محمداً بالحق لا ينقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله ، ولا تكون علينا دولة إلا وتكون لنا العافية ، ولتعلمن نبأه بعد حين » .

والتفت عليه السلام إلى معاوية فرد عليه سبه لأبيه فقال له : « أنا الحسن وأبى على ، وأنت معاوية وأبوك صخر وأمى فاطمة وأمك هند وجدى رسول الله ، وجدك عتبة بن ربيعة ، وجدتى خديجة وجدتك قتيلة : فلعن الله أحملا ذكراً والأمنأ حسباً وشرنا قديماً وحديثاً وأقدمنا كفرأ ونفاقاً » .

### بين الإمام الحسن ورجال معاوية :

فى شرح النهج لابن أبى الحديد يقول أهل السير .  
لما سلم الحسن الأمر إلى معاوية اجتمع إلى معاوية رهط من شيعته وهم عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط وعتبة بن أبى سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، وقد كان أبلغهم عن الحسن بن على قوارض وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقاتلوا لمعاوية : إن الحسن قد أحيا أباه وذكره ، قال فصدق وأمر فأطبع وخفقت له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسىء إلينا ، فابعث إليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيه ونوبخه

ونخيره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك .

قال معاوية : إني لا أرى ذلك ولا أفعله .

فعمزوا عليه ، فقال : لا تفعلوا فوالله ما رأيته قط جالساً عندي إلا خفت مقامه وعييه لي .

وقال : إنه السن بنى هاشم .

قالوا : ابعث إليه على كل حال .

قال : إن بعثت إليه لأنصفه منكم .

فقال عمرو بن العاص : أتخشى أن يأتي باطله على حقنا .

قال معاوية : أما أني لو بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله واعلموا

أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يُلصق بهم العار ، ولكن اقدفوه بحجره ، تقولون له إن أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء قبله .

جاء إلى الإمام الحسن الرسول ، فقال : يا جارية إبتيني ثيابي ، اللهم

إني أعوذ بك من شرورهم وأدراكك في نحورهم وأستمين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وأني شئت بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين .

ثم قام ، فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه ، وقد

ارتاد القوم وخطروا وخطران الفحول بغياً في أنفسهم وعلواً .

ثم قال معاوية : يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني .

فقال الحسن : سبحان الله الدار دارك والإذن فيها إليك إن كنت

أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحي لك من الفحش ، وإن كانوا

غلبوك على رأيك إني لأستحي لك من الضعف ، أما إني لو علمت بمكانهم جثت بمنزلهم من بني عبد المطلب ومالي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

معاوية : إني كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك ، وإن لك منهم النصف مني ، وإنما دعوناك لنقرر أن عثمان قتل مظلوماً وأن أباك قتله ، فأجبههم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك .

عمرو بن العاص : ذكر الإمام عليّ فلم يدع شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال إنه شتم أبا بكر وكره خلافته وبأبعه مكرهاً<sup>(١)</sup> وشرك في دم عمر وقتل عثمان

(١) يقول الأستاذ حسن كامل المطاوي في كتابه (الإمام الحسن) : إن الإمام علياً لم يكرهه أحد على بيعة أبي بكر كما ادعى عمرو بن العاص وكان تأخره عن بيعته بعض الوقت في أرجح الأوقات لبيين :

١ - أنه لم يشترك في اجتماع السقيفة وكان مشغولاً بتجهيز مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان يرجو أن يدعى للاجتماع باعتباره من السابقين الأولين .

ب - أن السيدة الزهراء زوجته كانت تطالب سيدنا أبا بكر رضي الله عنه بميراثها من أبيها في أرض فلك ولم يجيبها وأخبرها أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة ] ، وقد بينا ذلك تفصيلاً في الفصل الثاني .

على أن الخليفة الأول استمر يرضيها وهدد بترك الخلافة إن لم تكن الزهراء عنه راضية ، وما قاله في استرضائها : [ يا حبيبة رسول الله - والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي ] .

فالإمام علي في تأخره عن البيعة كان بطيب خاطر زوجته حتى إذا رضيت بايع ، وقد قال تعالى في نية رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة : [ لم تحرم ما أحل الله لك تبغى مرضاة أزواجك ] ، وفي ذلك ثناء على نية علمها الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبغى تطيب خاطرهن ، ثم عاتب -

= تعالى زوجي الرسول فقال : [ إن تتوباً إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه . ] ويضاف إلى ذلك أن الإمام وإن تأخر في البيعة فإنه لم يخرج على الخليفة الأول ولم يحاربه كما فعل معاوية وغيره حين خرجوا على الإمام على حاربوه دون وجه حق .

ج - أما أن سيدنا علياً شارك في ذم عمر فلم يقل أحد ذلك وكيف - وهو يخاف الله خوف السابقين يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وسيدنا عمر صهره وحبيبه وقد حرص على مصاهرة الإمام على ليكون له نسب بالرسول عليه الصلاة والسلام حيث وقف على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم [ كل نسب ينقطع يوم القيامة إلا نسي ] وكان سيدنا عمر يقول : لا أبقاني الله في بلد لست بها يا أبا الحسن . فهل كان يشك في عداوته ويقول ذلك أو بصاهره .

د - أن سيدنا عمر حين استخلف أشار بواحد من الستة الذين انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عنهم راض وكان في المقدمة الإمام على ومنزله من الرسول صلى الله عليه وسلم معروفة وقد بينت في الفصل السابق أنه كان أحب شخصية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

هـ - أن سيدنا عمر قال لبعض جلسائه مشيراً إلى فضل الإمام على : [ لو رلها الأجلح لحملهم على الجادة ، فقالوا ما يمنعك أن تستخلفه قال لا أحملها حياً وميتاً فليختاروا لأنفسهم ] .

و - أما دم عثمان فإن الإمام علياً وابنيه الإمامين الحسن والحسين دفعوا عنه بما لم يدفع عنه منهموه ، وكان عمرو بن العاص أول الناصحين لعثمان باعتزال الخلافة ، وكان يقاطع عثمان وهو يخطب ليعترضى الثائرين ، وكان يقول إني لألقى الراعي فأعرضه على عثمان ، وكانت شماته ظاهرة حين قتل ، وأما معاوية فلم يدفع عنه بشيء كما أنه لم يقصص من قتله كما كان يطلب من أمير المؤمنين على ، وقد روى أن معاوية زار المدينة فسمع ابنة عثمان تقول على سمع منه [ وأبناه ] ، فقال لها متبرياً من القصاص وهو في سلطانه :

[ يا ابنة أحمى إن الناس أعطونا طاعة وأعطيتناهم أماناً وأظهرنا لهم حُلماً تحت غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، فإذا نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعليتنا تكون أم لنا ، ولأن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين ] .

وهذا الذي علمته من قول معاوية يريك بدليل واضح أن دم عثمان كان تكأة يتخذون بها الجهال =

وادعى من الخلافة ما ليس له ، ثم ذكر الفتنة يعيره بها .

ثم قال : إنكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرم الله من الدماء وحرصكم على الملك وإتيانكم ما لا يحل ثم إنك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا له ، وإنما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره ، وأما أنت فلو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيب من الناس .

الوليد بن عقبة : يا بنى هاشم ، كنتم أحوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم فكنتم أول من حسده فقتله أبوك ظلماً فكيف ترون الله طلب بدمه ، والله إن بنى أمية خير لبنى هاشم من = وبحضون بها أهل الشام الذين اتقادوا اتقياد الأعمى لقائده بدافع من المال الذى أغدقه عليهم معاوية بلا حساب .

وإذا كان معاوية قد نجح في استمالة أنصار أهل البيت بما له فاستمالة أهل الشام كانت عليه أهون وأرخص . أو ليس هو الذى قال لأستميلن بالدنيا ثقات على ، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته .

وقد غلبت على الناس الدنيا وصدق أمير المؤمنين على حين قال لأتباعه : [ والله ما معاوية بأدهى منى ولكنه يفترو ويغتر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ] .  
وحين قال لهم : ولكنه لا رأى لمن لا يطاع .

وحين قال لهم : لم تكن يبعثكم إياى فتنة ، وليس أمرى وأمركم واحداً إني أريدكم لله وأنتم تريدوننى لأنفسكم .

وصدق الإمام الحسن رضى الله عنه حين قال : [ الناس عبيد الدنيا ، والدين لعن على ألسنتهم بحروطونه مادرت به معاشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون ] .

بنى هاشم لبني أمية .

عتبة بن أبي سفيان : يا حسن ، كان أبوك شر قريش لقريش ، أسفكه  
لدمائها وأقطعها لأرحامها طويل السيف واللسان يقتل الحي ويعيب الميت ،  
وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً ولا في ميزانها راجحاً ، وإنكم  
يا بني هاشم قتلتم عثمان وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به ، فأما أبوك فقد  
كفانا الله أمره .

المغيرة بن شعبة : تكلم فشم علياً ، وقال والله ما أعيبه في قضية يجون  
ولا في حكم يعيل ولكنه قتل عثمان .

رد الإمام الحسن :

تكلم ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم  
قال :

أما بعد ، يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني فحشاً ألفته ، وسوء  
رأى عرفت به ، وخلقاً سيئاً ثبت عليه ، وبغياً علينا عداوة منك لمحمد وأهله ،  
ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلاقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم ، أنشدكم  
الله أيها الرهط هل تعلمون أن الذي شتمتوه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت  
يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية ، وبابح البيعتين  
بيعة الفتحة وبيعة الرضوان ، وأنت بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث ، وأنشدكم  
الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً وأنتك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم

تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتستميلون بالأموال ، وأنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعك ومع أبيك راية الشرك ، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته وينصر دعوته ويصدق حديثه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المواطن كلها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساخط ، وبات يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه ، ( ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ) ، وأنزل فيه ( إنما وليكم الله ورسوله والله صلى الله عليه وسلم : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت أخي في الدنيا والآخرة » .

وجاء أبوك على جمل أحمر يوم الأحزاب يحرض الناس ، وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعن الراكب والقائد والسائق ، أتسى يا معاوية الشعر الذي كتبت به إليك لما هم أن يسلم تنهاه عن الإسلام :

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا	بعد الذين بيدر أصبحوا مرقا
خالي وعمي وعم الأم نالتهم	وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لأتركن إلى أمر تقلدنا	والراقصات بنعمان به الخرقا
فالوت أهون من قول العداة لقد	حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت وأنشدكم الله أتعلمون أن علياً حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل فيه : ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ) ، وأنت يا معاوية دعا عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بني خزيمه ، فبعث إليك فنهك إلى يوم القيامة فقال : اللهم لا تشبهه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة ، فقتلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث علياً بالراية فاستزلم على حكم الله وحكم رسوله وفعل في خير مثلها ، وأنتم أيها الرهط نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها :

أولها : يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الدين فوقع به وسبه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به .

والثانية : يوم العير إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي جائية من الشام فطردها أبو سفيان وساحل بها ولم يظفر المسلمون بها ، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها .

والثالثة : يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلاه وهو ينادى اعل هبل مراراً فلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات ولعنه المسلمون .

والرابعة : يوم جاء الأحزاب وغطفان واليهود فلعنه رسول الله وأبتهل .

والخامسة : يوم الحديدية ، يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام ( والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ) ولعن القادة والأتباع ، فقيل يا رسول الله أفما يرجي الإسلام لأحد منهم ، فقال : لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع يسلم ، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد .

والسادسة : يوم الجمل الأحمر .

والسابعة : يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان .  
هذا لك يا معاوية .

وأما أنت يا ابن النابغة فادعاك خمسة من قريش غلب عليك الأهمهم حسباً وأحبهم منصباً وولدت على فراش مشترك ثم قام أبوك فقال أنا شاني محمد الأبتري فأنزل الله فيه ( إن شانئك هو الأبتري ) ، وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع المشاهد وهجوته وأذيته بمكة وكدته وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة ، ثم خرجت تريد النجاشي لتأني يعقفر وأصحابه ، فلما أخطأك ما رجوت ورجعتك الله خائباً وأكذبتك واشياً جعلت جدك على صاحبك عمارة بن الوليد ، فوشيت به إلى النجاشي ففضحك الله وفضح صاحبك ، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام ، وهجوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتاً من الشعر فقال اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي ، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة فعليك إذاً من الله

ما لا يحصى من اللعن ، وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سمرت عليه  
 الدنيا ناراً ، ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت : « أنا أبو عبد الله  
 إذا نكأت قرحة أدميتها » ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعث دينك بدينه  
 فلما نلوك على بغض ولا نعاتبك على ود ، وبالله ما نصرت عثمان حياً ولا  
 غضبت له مقتولاً ، ويحك يا ابن العاص ألت القاتل لما خرجت إلى  
 النجاشي :

تقول ابنتي أين هذا الرحيل وما السير مني بمستكر  
 فقلت ذريني فإني امرؤ أريد النجاشي في جعفر  
 لأكويه عنده كية أقيم بها نحوه الأصغر  
 وشاني وأحمد من بينهم وأقولهم فيه بالمنكر  
 وأجرى إلى عيه جاهداً ولو كان كالذهب الأحمر  
 ولا أنثى عن بني هاشم بما اسطعت في الغيب والمخضر  
 فإن قبل العيب مني له وإلا لويت له مشفري  
 وأما أنت يا وليد فوالله ما ألومك على بغض عليّ وقد قتل أباك بين يدي  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وجلدك ثمانين في الخمر لما صليت  
 بالمسلمين الفجر سكران .

وفيك يقول الحطيثة :

شهد الحطيثة حين يلتقي ربه أن الوليد أحق بالعدر  
 نادى وقد نمت صلاحهم أأزيدكم سكرأ وما بدرى

ليزيدهم أخرى ولو قبلوا  
 فأبوا أبا وهب ولو قبلوا  
 لآتت صلاحهم على العشر  
 لقرنت بين الشفع والوتر  
 حبسوا عنانك إذ جريت ولو  
 تركوا عنانك لم ترل تجرى  
 وسماك الله في كتابه فاسقاً وسمى أمير المؤمنين مؤمناً حيث تفاخرتما فقلت  
 له اسكت يا عليّ فأنا أشجع منك جناناً وأطول منك لساناً ، فقال لك على  
 اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق ، فأنزل الله تعالى في موافقته قوله :  
 ( أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستونون ) ثم أنزل فيك على موافقته  
 قوله : ( إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ) ومهما نسبت فلا تنس قول الشاعر  
 فيك وفيه :

أنزل الله والكتاب عزيز  
 فتبوا الوليد إذ ذاك فحقاً  
 ليس من كان مؤمناً عمرك الله  
 سوف يدعى الوليد بعد قليل  
 فعلى يجزى بذاك جناناً  
 رب جد لعقبة بن إبان  
 في علي وفي الوليد قرانا  
 وعلى مبوأ إيماناً  
 كمن كان فاسقاً خواناً  
 وعلى إلى الحساب عياناً  
 ووليد يجزى بذاك هواناً  
 لابس في بلادنا ثباناً  
 وما أنت وقريش إنما أنت علعج من أهل صفورية ، وأقسم بالله لأنت  
 أكبر في الميلاد وأسن مما تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ، ولا عاقل فأحاورك  
 وأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شريتي ، وما عقلك وعقل أمتك

إلا سواء ، وما يضر علياً لو سبته على رموس الأشهاد ، وأما وعيدك إياي بالقتل فهلا قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك ، فقال فيك نصيرين حجاج :

يا للرجال وحادث الأزمان      ولسبة تحزى أبا سفيان

نبئت عتبة خانة في عرسه      حبس لثيم الأصل في لحيان

وكيف أومك على بغض عليّ وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر وشرك

حمزة في قتل جدك عتبة وأوجدك من أخيك حنظلة في مقام واحد .

وأما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه وإنما مثلك مثل

البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكي فإني طائرة عنك ، فقالت النخلة هل

علمت بك واقعة علي فأعلم بك طائرة عني ، والله ما نشعر بعداوتك إيانا

ولا اغتمنا إذ علمنا بها ، ولا يشق علينا كلامك ، وإن حد الله عليك في

الزنا لثابت ، ولقد درأ عمر عنك حقاً الله سائله عنه ، ولقد سألت رسول الله

صلى الله عليه وسلم هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال لا بأس

بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنك زان .

وأما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول : ( وإذا أردنا أن نهلك

قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ) .

ثم قام الحسن فنفض ثوبه وانصرف ، فتعلق عمرو بثوبه وقال يا أمير

المؤمنين قد شهدت قوله في قذف أمي بالزنا ، وأنا مطالب له بحد القذف ،

فقال معاوية خل عنه لا جزاك الله خيراً ، فتركه وانصرف الحسن وتركهم

يحسون كمداء ، فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ونهيتكم أن

نسبوه فعصيتموني ، والله ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عني فلقد فضحككم  
الله وأخزاكم بترككم الحزم وعبدولكم عن رأي الناصح المشفق وقال :

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له	وقلت لكم لا تبعثن إلى الحسن
فجاء ورب الرفضات عشية	بركبائها يهوين عن سرّة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه	وبعد مداه حين إجراهِ الرسن
فلما أبيتُم كنت فيكم كبعضكم	وكان خطابي فيه غبنا من الغبن
فحسبكم ما قال مما علمتم	وحسبي بما ألقاه في القبر والكفن